المحاضرة السادسة

موضوعات الانثروبولوجيا الطبية

توجه الأنثروبولوجيا الطبية – بوصفها فرعًا معرفيا من فروع الأنثروبولوجيا وأحد التخصصات التي لديها القدرة على أن تكون بمثابة جسر بين الأنثروبولوجيا الطبيعية (البيولوجية) والأنثروبولوجيا الثقافية(الاجتماعية) – اهتماماتها نحو العديد من العوامل التي تساهم في ظهور المرض أو الاعتلال الصحي وبيان الطرق التي تستجيب بها الجماعات البشرية المختلفة لهذا الاعتلال أو المرض. وعلى الرغم من أن جسم الإنسان هو نتاج معقد لما لا يقل عن خمسة ملايين سنة من العلاقة الجدلية بين التطور البيولوجي والاجتماعي والثقافي، إلا أنه نظام يخضع للعديد من الاعتداءات البيئية وكذلك للتدهور الذي يصاحب تقدم العمر حتمًا. ولا تتشكل عملياته فقط من خلال المتغيرات الفسيولوجية ولكن أيضًا تتوسطه الثقافة والحالات الانفعالية. لذا استمدت توجهاتها من مجموعة متنوعة من المنظورات الاكاديمية داخل النظرية الأنثروبولوجية ونظريات العلوم الاخرى التي تتداخل مع الأنثروبولوجيا. وندرج في ادناه اهم الموضوعات التي تتعامل معها الأنثروبولوجيا الطبية وكالاتي:

الصحة Health

تعين منظمة الصحة العالمية الصحة على أنها "ليست مجرد غياب المرض والعجز وانما تمثل الرفاه الجسدي والعقلي والاجتماعي الكامل" (منظمة الصحة العالمية ١٩٧٨). أصبحت فكرة "الجسم السليم او المعافى" أيضًا مفهومًا رئيسًا ضمن حركة الصحة الشاملة. ومع ذلك، فإن اهتمام الإنسان بهذه الفكرة ليس حديثًا. كما لاحظ مقوم العظام والأنثروبولوجيا نورمان كلاين (Norman Klein) ان وفرة الصحة او المعافاة Well–being هو مصدر قلق إنساني في جميع المجتمعات – ويرجع ذلك جزئيًا إلى أن البشر ، مثل أشكال الحياة الأخرى ، عرضة للإصابة

بالمرض[1]." والصحة، أكثر من مجرد حالة فسيولوجية أو عاطفية، هي مفهوم طوره البشر في العديد من المجتمعات من أجل وصف شعورهم بالمعافاة. ويعتبر العديد من علماء الأنثروبولوجيا الطبية أن الصحة هي بناء ثقافي يختلف معناه بشكل كبير من مجتمع إلى آخر أو من فترة تاريخية إلى أخرى.

من منظور الماركسية الجديدة، يرى ساندر كيلمان (Sander Kelman) الصحة في سياق نظام الإنتاج. إنه يميز بين "الصحة الوظيفية functional health " و "الصحة التجريبية experiential health ". تعرف الأولى بأنها حالة الكفاءة المثلى لأداء الأدوار داخل المجتمع، لا سيما في سياق الرأسمالية، للقيام بعمل منتج يساهم في جني الأرباح. بينما تستلزم "الصحة التجريبية" التحرر من المرض والابتعاد عنه والقدرة على التنمية البشرية، بما في ذلك اكتشاف وتحقيق الذات والتعالي عن الظروف الاجتماعية المنفردة. وبما أن "الصحة الوظيفية" هي عنصر حتمي للحياة الاجتماعية في ظل الرأسمالية، فإن "الصحة التجريبية" تميل إلى الحدوث في العديد من مجتمعات ما قبل الصناعة البسيطة ويمكن نظريًا أن تحدث مرة أخرى في ظل المجتمعات الحديثة القائمة على العلاقات الاجتماعية القائمة على المساواة[2].

ركز علماء الأنثروبولوجيا الثقافية جهودهم البحثية قبل توجيه انتباههم إلى الدولة أو المجتمعات المعقدة، الى مجتمعات السكان الأصليين. في الواقع، لاحظ علماء الأنثروبولوجيا وغيرهم من زوار هذه المجتمعات الأصلية، بما في ذلك المستكشفون والتجار والمبشرون، صحة وحيوية الأشخاص الذين تمت مقابلتهم. في حين أن مثل هذه الروايات قد تظهر غالبًا عنصرًا معينًا من الرومانسية، وتشير الدراسات الوبائية والإثنوغرافية إلى أن الأشخاص في مجتمعات السكان

---

[1] Klein, Norman. 1979. “Introduction.” In *Culture, Curers and Contagion*, ed. Norman Klein, 1–4. Novato, CA: Chandler and Sharp.

[2] Kelman, Sander. 1975. “The Social Nature of the Definition Problem in Health.” *International Journal of Health Services* 5: 625–42.

الأصليين الذين يصلون إلى سن الرشد يظهرون عمومًا حالة عامة من الصحة الجيدة والحيوية. يلتقط جون إتش بودلي (John H. Bodley) بإيجاز بعض الأسباب التي تجعل الظروف الصحية مواتية في مجتمعات السكان الأصليين" :الأهم من ذلك ، أن الكثافات السكانية المنخفضة عمومًا والمساواة الاجتماعية النسبية للمجتمعات الصغيرة الحجم من شأنها أن تساعد في ضمان المساواة في الوصول إلى موارد الكفاف الأساسية بحيث يمكن للجميع التمتع بتغذية جيدة. علاوة على ذلك، فإن الكثافة السكانية المنخفضة والتنقل المتكرر من شأنه أن يقلل بشكل كبير من حدوث الأمراض الوبائية، والانتقاء الطبيعي – في غياب المضادات الحيوية والتحصينات والجراحة وأشكال التدخل الطبي الأخرى – من شأنه أن يطور مستويات عالية من مقاومة المرض، فالأشخاص الأصحاء هم من ينجون.

تحافظ المجتمعات القبلية، في الواقع، على الصحة العامة من خلال التأكيد على الوقاية من المرض بدلاً من العلاج. من المحتمل أن توجد الظروف الأكثر صحة في ظل العلف المتنقل والرعي، بينما قد تكون هناك بعض التكاليف الصحية المرتبطة بزيادة الكثافة وانخفاض حركة القرى الزراعية المستقرة[١].

من منظور الرابطة الطبية الامريكية، يمكن تعريف الصحة على أنها الوصول إلى المواد الأساسية والموارد غير المادية التي تحافظ وتعزز الحياة على مستوى عالٍ من الرضا والتحكم فيها. فالصحة ليست حالة مطلقة للوجود ولكنها مفهوم مرن يجب تقييمه في سياق اجتماعي ثقافي أكبر. على سبيل المثال، يعد شعب جنو [٢](Gnau)، الصحة على أنها "مقاومة متراكمة

---

[1] Bodley, John H. 1994. *Cultural Anthropology: Tribes, States, and the Global System.* Mountain View, CA: MayfieldPublishing.p124.

[٢] جماعة بشرية من وادي سيبك Sepik في جزيرة غينيا الجديدة.

للأخطار المحتملة، ويُنظر هذا الشعب إلى هذه الأخطار على أنها أرواح شريرة في المقام الأول[1]. يعيش شعب (Gnau) بوصفهم مجموعة ثقافية الى الغرب من شعب دريكير (Dreikikir) في غينيا الجديدة، ويعزوا هذا الشعب معظم الأمراض إلى السحر أو الأرواح، ويميزون بين السحر الشرير" evil sorcery" والسحر المدمر destructive magic الذي يُعرَّف بأنه "تقنيات القوة لإلحاق الأذى بالناس باستخدام المواد والتعاويذ التي يتم نفخها أو التهامس بها". ويمكن استعماله لحماية ممتلكات المرء أو للانتقام من خطأ أو كعمل من أعمال الحقد. وعندما يتم استعمال السحر المدمر لأغراض عملية مثل حماية الممتلكات والمحاصيل من السرقة أو تثبيط التعدي على ممتلكات الغير، فانه تظهر علامات السحر ويتم الموافقة على استعماله لهذا الغرض. من ناحية أخرى، السحر الشرير هو شر محض وغير شرعي ومعاد للمجتمع. واستعماله غير مبرر أبدا. دائمًا ما يؤدي إلى الموت ولا يمكن مواجهته. وغالبًا ما يكون للشعوذة سببًا عندما يؤدي المرض إلى الوفاة. ومن ثم يصبح من المهم تحديد نية القتل والجاني. عادة ما يتم توجيه اللوم الى خارج القرية لأن هذا يحافظ على الانسجام القروي. وقد تسبب أرواح القرابة النسبية (الافخاذ) المرض أيضًا؛ ومع ذلك، سيتم تحديد هذا التشخيص أثناء المرض ويمكن التعامل معه أو معالجته عن طريق الاحتجاج إلى الأسلاف الذين يُعتقد أنهم تسببوا في المرض. يرى (Gnau) الصحة على أنها القدرة على مقاومة المرض. ومن المتوقع أن تتضاءل الحالة الصحية للفرد وتتضاءل أثناء الحياة مع صغار السن وكبار السن الأقل قدرة على مقاومة المرض. ولا يفرق (Gnau) بين المرض وأنواع المصائب الأخرى، وذلك باستخدام مصطلح "Wola" الذي يشمل السيء والشر والبؤس والضار والممنوع والخطير والقديم باستثناء مرض الجلد، كما لا يفرق (Gnau) الأمراض من خلال أعراضها. إنهم يميزون بين الأمراض التي تصيب الجسم كله وتلك التي تؤثر

[1] Lewis, Gilbert. 1986. “Concepts of Health and Illness in a Sepik Society.” In *Concepts of Health, Illness and Disease: A Comparative Perspective*, ed. Caroline Currier and Meg Stacy, 119–35. Leamington Spa, England: Berg.

على جزء من الجسم فقط مثل أحد الأطراف أو الأعضاء أو الجلد تحت عنوان "Neyigeg" . هو المصطلح المستعمل لوصف أمراض جزء من الجسم التي عادة ما تكون هذه بصيغة شكاوى داخلية وقد تكون مصحوبة بألم أو حمى أو غثيان أو صعوبة في التنفس أو اضطرابات في الأمعاء. ويشير مصطلح "Biwola" إلى الحالات المزمنة، بما في ذلك التشوهات والأمراض العقلية. ويتم تحديد التشخيص من خلال سبب المرض واختيار العلاج يعتمد على السبب. مقارنة بالجماعات الأخرى في بابوا غينيا الجديدة، فإن (Gnau) هم معالجون أعشاب فقراء يعتمدون على نبات القراص كمضاد للتهيج. جروح صغيرة على مواقع الألم. ضمادات اللحاء أو النسغ أو الطمي؛ كمادات النباح للمفاصل المؤلمة. أو الزنجبيل لنزلات البرد والتهاب الحلق. في حالة المرض الخطير، يتم استخدام أوراق نبات القراص فقط. تُستخدم العديد من النباتات في طقوس الشفاء ولكن يلزم معرفة العلاقة المعقدة بين الأرواح والنباتات. السلوك التقليدي للمريض هو عزل نفسه عن بقية المجتمع، وتجريده من ملابسه وتغطية أجساده بالأوساخ والرماد، والابتعاد عن الطعام، ويظهر بشكل عام بائس وتعسة. لا يتواصل المرضى مع الآخرين على الرغم من أن الأقارب والأصدقاء قد يجتمعون ويحاولون تشخيص المرض ومناقشة خيارات العلاج. الاسترداد يدل على الغسل المطهر. يشرح لويس هذا السلوك على أنه محاولة لخداع الأرواح التي قد تسبب المرض، مما يدفعهم إلى الاعتقاد بأنه لا أمل للمصابين حتى يغادروا قبل أن يصبح المرض قاتلاً. اما في المجتمعات الرأسمالية، يستلزم تحقيق الصحة تتبع المرض ووصف المضادات له وتتجه بعض السياسات الى النضال ضد القوى التي تسيطر عليها الطبقية والتي لا توجد في المجتمعات الأصلية. وأن الطابع النهائي لأنظمة الرعاية الصحية يتم تحديده خارج القطاع الصحي من الفئات الاجتماعية المهيمنة، مثل رؤساء شركات التأمين والشركات الكبرى الأخرى، كما ان أشكالًا مهمة من النضال تحدث داخل هذا القطاع وتساعد في تشكيل مؤسساته .وبالتالي، فإن فحص القوى المتنافسة داخل وخارج المجال الصحي والتي تمس الصحة والشفاء تصبح مهمة أساسية في بناء منهج حاسم للقضايا الصحية.